

الوافي في الوفيات

وقال : نَعَيْتَ إِيَّيَّ نَفْسِي فَقُلْتُ : أَعِيذُكَ بِاللَّهِ فَقَالَ : إِنَّ عُمَرِي لَيْسَ يَطُولُ وَقَدْ نَشَأَ لَطِيئًا مِثْلَكَ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ الْمَنْقَرِيَّ رَأَى شَبِيبَ بْنَ شَبَّابَةَ وَهُوَ مِنْ رَهْطِهِ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ : يَا بُنْدَيَّ نَعَى إِيَّيَّ نَفْسِي إِحْسَانُكَ فِي كَلَامِكَ لِأَنَّ أَهْلَ بَيْتِي مَا نَشَأَ فِينَا خَطِيبٌ إِلَّا مَاتَ مِنْ قَبْلِهِ قَالَ : فَمَاتَ أَبُو تَمَامٍ بَعْدَ سَنَةٍ مِنْ هَذَا وَقَالَ : أَنْشَدْتُ أَبَا تَمَامٍ شِعْرًا لِي فِي بَعْضِ بَنِي حُمَيْدٍ وَصَلَّتْ بِهِ إِلَيَّ مَا خَطَرَ فَقَالَ لِي : أَحْسَنْتَ أَنْتَ أَمِيرَ الشُّعْرَاءِ بَعْدِي فَكَانَ قَوْلُهُ هَذَا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ جَمِيعِ مَا حَوَيْتُهُ وَكَانَ لِلْبَحْتَرِيِّ غُلَامٌ اسْمُهُ نَسِيمٌ فَبَاعَهُ فَاشْتَرَاهُ أَبُو الْفَضْلِ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ الْكَاتِبُ ثُمَّ إِنَّ الْبَحْتَرِيَّ نَدِمَ عَلَى بَيْعِهِ وَتَتَبَّعَتْهُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَعْمَلُ فِيهِ الشُّعْرَ وَقِيلَ إِنَّهُ خُذِعَ فِي بَيْعِهِ وَلَمْ يَبِعْهُ بِاخْتِيَارِهِ فَمِنْ قَوْلِهِ فِيهِ : .
أَنْسِيمُ هَلْ لِلدَّهْرِ وَعْدٌ صَادِقٌ ... فِيمَا يَوْمٌ لِيهِ الْمَحَبُّ الصَّادِقُ .
مَالِي فَقَدْتُكَ فِي الْمَنَامِ وَلَمْ تَزَلْ ... عَوْنِ الْمَشُوقِ إِذَا جَفَاهُ الشَّائِقُ .
أَمْنَعْتَ أَنْتَ مِنَ الزِّيَارَةِ مُشْفِقًا ... مِنْهُمْ فَهَلْ مُنْذِعَ الْخِيَالُ الطَّارِقُ .
الْيَوْمَ جَازَ بِيَ الْهَوَى مَقْدَارَهُ ... فِي أَهْلِهِ وَعَلِمْتُ أَنِّي عَاشِقُ .
فَلِيَهْنَدُ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ أَنَّهُ ... يَلْقَى أَحِبَّ تَتَهُ وَنَحْنُ نَفَارِقُ .
وَلَهُ فِيهِ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ وَلِذَلِكَ قُلْتُ وَأَنَا فِي رَمْلِ مِصْرٍ وَقَدْ زَادَ الْحَرُّ وَلَمْ تَهْبُ نَسْمَةٌ هَوَاءٍ : .
وَيَوْمَ زَادَ فِيهِ الْحَرُّ حَتَّى ... هَلَكْتُ بِهِ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ .
فَلَوْ أَبْصَرْتَنِي وَأَنَا فَرِيدٌ ... وَمَالِي صَاحِبٌ إِلَّا حَمِيمِي .
كَأَنَّيَ الْبَحْتَرِيَّ عَنَاءٌ وَوَجْدًا ... أَسْأَلُ مِنْ أَرَاهُ عَنْ نَسِيمِ .
وَقَالَ صَاحِبُ الْأَغَانِي : كَانَ نَسِيمٌ غُلَامًا رُومِيًّا لَيْسَ بِحَسَنِ الْوَجْهِ وَكَانَ الْبَحْتَرِيَّ قَدْ جَعَلَهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْحَيْدَلِ عَلَى النَّاسِ وَكَانَ يَبِيعُهُ وَيَعْمَلُ أَنْ يُصَيِّرَهُ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ الْمَرْوَةِ وَمَنْ يَنْفَقُ عِنْدَهُ الْأَدَبَ فَإِذَا حَصَلَ فِي مَمْلَكَةِ شَبَّابَةَ وَتَشَوَّاهُ وَمَدَحَ مَوْلَاهُ حَتَّى يَهْبِيَهُ لَهُ وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ نَسِيمٌ اشْتَرَى مَمْلُوكًا غَيْرَهُ وَأَقَامَهُ مَقَامَ نَسِيمٍ وَاللَّهِ أَعْلَمُ . وَكَانَ بَحْلَبَ شَخْصٌ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ الْهَاشِمِيِّ مَاتَ أَبُوهُ وَخَلَفَ لَهُ مَقْدَارُ مِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ فَأَنْفَقَهَا عَلَى الشُّعْرَاءِ وَالزُّوَّارِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَصَدَهُ الْبَحْتَرِيَّ مِنَ الْعِرَاقِ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى حَلَبٍ قِيلَ لَهُ إِنَّهُ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ مِنْ دُيُونِ رَكْبَتِهِ فَاغْتَمَّ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا وَبِعَثَ الْمَدْحَةَ إِلَيْهِ مَعَ بَعْضِ مَوَالِيهِ فَلَمَّا وَصَلَتْهُ وَوَقَفَ عَلَيْهَا بَكَى وَدَعَا بِغُلَامٍ لَهُ وَقَالَ لَهُ : بَعِ دَارِي فَقَالَ : تَبِيعَ دَارِكُ وَتَبَقِيَ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : لَا بَدَّ مِنْ بَيْعِهَا فَأَبَاعَهَا بِثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ وَأَخَذَ صِرَّةً

وأودعها مائة دينارٍ وأنفذها إلى البحترى وكتب معها : .
لو يكون الحياء حَسَبَ الذي أن ... تَ لَدَيْنَا به محلٌّ وأهلٌ .
لَحْدِيَّتَ اللَّجِينِ والدُّرِّ واليا ... قُوتَ حَيَوَاءَ وكان يَقلِّ .
والأديبُ الأريبُ يسمَحُ بالعُذِّ ... ر إذا قصَّر الصديق المقل .
فلما وصلت الرقعة إلى البحترى ردَّ الدنانير وكتب إليه : .
بأبي أنتَ وإِ للبرِّ أهلٌ ... والمساعي بعدُ وسَعِيكَ قبلُ .
والنوال القليل يكثر إن شا ... ء مَرَجَّيْكَ والكثيرُ يَقلِّ .
غير أنِّي رددتُ برِّكَ إذ كا ... ن رِبَاءَ مِنْكَ والرِّبَا لا يَحِلُّ .
وإذا ما جَزَيْتَ شعراً بشعري ... قُضِيَ الحَقُّ والدنانير فضل .
فلما عادت الدنانير حُلِّ الصُّرَّةِ وضمَّ إليها خمسين ديناراً أخرى وردَّها إليه وحلف
أنه لا يعيدها فلما وصلت إلى البحترى قال : .
شَكَرْتُكَ إنَّ الشُّكْرَ للعبدِ نعمةٌ ... ومَن يشكرُ المعروفَ فإنَّ زائدُهُ .
لكلِّ زمانٍ واحدٌ يُقْتَدَى به ... وهذا زمانٌ أنتَ لا شكَّ واحدُهُ